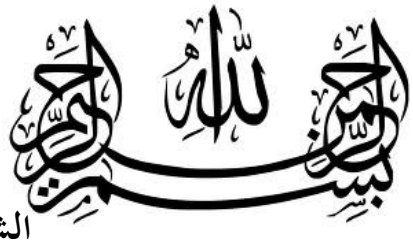

الاثنين 10/2/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

سلسلة تفسير جزء قد سمع

سورة المجادلة (5)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

فنحن في دروس تفسير آيات من سورة المجادلة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: 12-19].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ .

دعا القرآن الكريم المؤمنين إذا أرادوا أن يجلسوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جلسة خاصة ليستشيروه أو يسروا إليه أمراً أن يقدموا صدقة لله تعالى.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (**نزلت بسبب أن المسلمين كانوا يكثرون المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شَقُّوا عليه، فأراد الله عز وجل أن يخفف عن نبيه صلى**

الله عليه وسلم، فلما قال ذلك كَفَّ كثير من الناس. ثم وسع الله عليهم بالآية التي بعدها) [تفسير القرطبي].

عن مجاهد في قوله: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ قال: **(نهوا عن مناجاة النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم حتى يتصدقوا، فلم يناجه إلا عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه قَدَّمَ ديناراً فتصدق به، ثم أنزلت الرخصة في ذلك)** [تفسير الطبري].

عن مجاهد، قال: **(قال عليٌّ رضي الله عنه: إن في كتاب الله عزّ وجلّ لآية ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ **قال: فُرِضت، ثم نُسخت)** [تفسير الطبري].

﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ .

عن علي بن أبن طالب رضي الله عنه أنه قال: **في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، وهي:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ **قال: كان لي دينار فبعته، فكنت إذا ناجيت الرسول تصدقت بدرهم حتى نفد، فنسخت بالآية الأخرى** ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ [تفسير القرطبي].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: **(لقد كانت لعلي رضي الله عنه ثلاثة لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حُمُرِ النَّعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى)** [تفسير القرطبي].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قال: **(كان المسلمون يقدّمون بين يدي النجوى صدقة، فلما نزلت الزكاة نُسخ هذا)** [تفسير القرطبي].

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ .

قال قتادة: (**هم المنافقون تولوا اليهود،** ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ **يقول: ليس المنافقون من اليهود ولا من المسلمين بل هم مذبذبون بين ذلك، وكانوا يحملون أخبار المسلمين إليهم**) [تفسير القرطبي].

تَوَلَّوْا: تولى من الولاية، والولاية هي المحبة والمناصرة، أي ألم تروا إلى الذين أحبوا وناصروا وأحبوا قوماً غضب الله عليهم.

أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً: أي اتخذوا الحلفان بالله وقاية لهم ودرعاً.

الآية تتحدث عن قوم منافقين يجلسون مع المؤمنين غير أن قلوبهم معلقة باليهود فكان وعيدهم بالعذاب المهين، غير أن علماء التفسير يقولون: **العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب،** فعلى كل منا أن ينظر في قلبه هل يحب قوماً غضب الله عليهم أم رضي الله عنهم.

شاب له أصدقاء لا يلتفتون إلى قبلة، يجاهرون الله بالمعاصي ويشيعون الفاحشة بين الذين آمنوا ويسيئون إلى البلاد والعباد ثم يقول: أحب أصدقائي ولا يمكنني تركهم.

امرأة لها أصدقاء لا يلتفتن إلى قبلة ولا يُحَلِّلْن حلالاً ولا يُحَرِّمن حراماً ولا يأمرْن بمعروف ولا يُنكرنَ منكراً ويتّبِعْن ما أُشْرِبَ في هواهُنَّ، وهَمُّهُنَّ طعامهن وشرابهن ولباسهن وأن يظهرن بمظهر الإغراء وفتن الناس ثم تقول: هؤلاء صديقاتي أحبهن ولا أستطيع تركهن.

هذه الكلمة خطيرة؛ وذلك لأن هذا التعلق هو تعلق بأناس غضب الله عليهم.

قال العلماء: **عدوى الروح إلى الروح أسرع من عدوى الجسد إلى الجسد.**

وقالوا: **الطبع يسرق من الطبع.**

فرُبَّ قوم جلسوا مجلساً ففاضت على الجالسين أنوار ببركة واحد منهم وبقوة روحه، وبرجل فيه من الغضب والسوء ما يستجلب اللعنات فيصيبك من ناره.

عدوى السيئات إلى الحسنات أسرع من عدوى الحسنات إلى السيئات وكثيراً ما نرى أن عدوى المدخن تنتقل إلى غير المدخن وقليلاً ما نرى عدوى غير المدخن تنتقل إلى المدخن.

لا يدخل أحدنا إلى بيته إلا من يختاره ويحبه ولله المثل الأعلى فإذا كان الله قد أذن لنا بدخول بيته فهذا علامة قَبول الله لنا فعلينا أن نحرص على حالتنا الإيمانية مع الله؛ فالفضل الإلهي الذي يكرمنا الله به من كوننا مؤمنين وقريبين منه لا نريد أن نُحرَم منه بصحبة قوم غضب الله عليهم.

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً**» [البخاري ومسلم].

في هذا الحديث لفتة مهمة وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ**» وليس الصاحب الصالح والصاحب السوء، بإشارة أنه من الممكن لك بجلسة واحدة مع أصحاب السوء أن تصاب روحك بأذى فاحذر أن تندرج تحت هذه الآية من غير أن تشعر.

الحب أمر قلبي لا يمكن السيطرة عليه غير أن له مداخل: فالعين والسمع والنطق واللمس كلها بريد للقلب فليجتهد أحدنا أن يملأ أوقاته ليكون مع الصالحين عسى أن يصبح منهم.

عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قَالَ: (**الْتَقَى رَجُلَانِ فِي السُّوقِ, فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: يَا أَخِي تَعَالَ حَتَّى نَدْعُوَ اللَّهَ تَعَالَى فِي غَفْلَةِ النَّاسِ، فَفَعَلَا.. فَمَاتَ أَحَدُهُمَا, فَأَتَاهُ فِي مَنَامِهِ فَقَالَ: يَا أَخِي شَعَرْتُ أَنَّ اللَّهَ غَفَرَ لَنَا عَشِيَّةَ الْتَقَيْنَا فِي السُّوقِ**) [المنامات لابن أبي الدنيا].

فلا تدري بأي جلسة أو صحبة أو نزهة أو نظرة تكون سعادة الدارين، ولا سمح الله إذا كان لك جلسة مع قوم غضب الله عليهم فلا ندري متى تأتي الشرارة لتحرق القلب ويكون الخسران في الدنيا أو في الآخرة.

كل ما يُعرض علينا في هذه الحياة من سرور أو كدر أو تعب أو هم أو بلاء أو فَقْدِ حبيب أو قريب... ما هي إلا عوارض فالسبب الرئيس من وجودك في هذه الحياة بعد الإيمان بالله أن تطبق أوامره وتنتهي عن نواهيه.

أحياناً تكرم ابنك وتحسن إليه مع إساءته فإن لم يستجب استعملت معه طريقة العقاب؛ لأنك تحبه ولو لم تكن تحبه لتركته للزمن حتى يؤدبه، ولله المثل الأعلى فالله أغدق علينا نعمه لنعرفه

بها فنعبده ونرجع إليه، فإذا لم يعرف الإنسان ربه مع كل تلك النعم أرسل الله إليه امتحانات وابتلاءات لعله يعود ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة: 21].

قال لي أحد الإخوة إنني في هذه الأزمة فقدت بيتي وعملي لكني أشعر بالسعادة والرضى عن الله؛ لأنني كنت بعيداً عن الله وجاءت هذه الأزمة لتكن سبباً في عودتي إليه.

إذا كان لك مجموعة من الأصحاب فادعهم للعودة إلى الله فإن استجابوا فبها ونعمت، وإن لم يستجيبوا فما عليك إلا البلاغ.

مرت معنا قصة أهل الكهف وكيف أنهم تركوا أموالهم وقصورهم وجاهاتهم ليجلسوا في كهف عائدين إلى الله، ولما صاروا أهل كهف ذكرهم الله في قرآنه غير أنهم لو بقوا على ما هم عليه لما ذكروا أبداً.

من أراد لقلبه أن لا يعلق بأحد من الذين غضب الله عليهم فعليه بثلاثة أشياء:

1- الإكثار من ذكر الله:

ما من شيء مثل الذكر لقربك من الله وصلتك به؛ فذكر الله نور وطهارة وصفاء لقلبك.

كثرة ذكر الله مدد لك في هذه الحياة يعينك على الثبات فيها، فمن أراد أن يخوض الحياة بقوته فستهلكه قوته، ومن أراد أن يخوضها بماله فسيغرقه ماله، من أراد أن يخوضها بجاهه فسيكون سبب ذُلِّهِ.

كثرة ذكر الله يعالج قلبك ليكون صحيحاً فيعرف المعروف معروفاً والمنكر منكراً، أما المريض فتراه يذوق الماء فيقول عنه مراً.

من حيا قلبه بحث عن الصالحين ثم صاحبهم واطمأن وسكن وارتاح لهم.

من صار لديه قلب سليم شعر ما حقيقة الذكر والصلاة والإقبال على الله.

لكن إذا مات القلب انعدم الشعور وصار يضيق في المسجد، ويَمَلُّ من مجالس العلم، وفي أحسن أحواله يرى جلسة السوء والصلاح بنفس الدرجة.

طرفة حدثت معي بمروري على طفل يضع ميزاناً لِيَزِنَ المارة مقابل مبلغ مالي فلما صعدتُ على الميزان كان وزني (ستة وثلاثين كيلو غرام) فقلت له: إن ميزانك معطل، فقال: لا.. فكل الناس يصعدون ويكون هذا وزنهم.

2- حضور مجالس العلم:

العلم في الإسلام كاشف يوضح لك الصحيح من الخطأ، والجهل كمثل من سار في مركبة من غير أضواء يخاف أن يتأذى أو يؤذي أحداً.

3- الإكثار من مجالسة الصالحين.

﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ .

((**حكم جمهور العلماء ومنهم الحنفية والمالكية والحنابلة على من حلف كذباً وهو يعلم:** أنه يأثم فيها صاحبها، ويجب عليه التوبة والاستغفار، ولا كفارة عليه بالمال.

قال ابن مسعود: (**كنا نعد من اليمين التي لا كفارة لها: اليمين الغموس**).

وقال الشافعية وجماعة: تجب الكفارة في اليمين الغموس، أي تسقط الكفارةُ الإثمَ فيها كما تسقطه في غير الغموس مع اعتبار كونه مرتكب لكبيرة)) [انظر: الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي].

﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ .

قال مقاتل: (قال المنافقون: إن محمداً يزعم أنه يُنصر يوم القيامة، لقد شقِينا إذاً فو الله لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأولادنا وأموالنا إن كانت قيامة) فنزلت.. [تفسير القرطبي].

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ .

يحلفون في الآخرة كذباً أمام حضرة الله وما كان ذاك منهم إلا بعد أن تعودوا على الكذب في الدنيا.

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ .

اسْتَحْوَذَ: غلب واستعلا.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: 76] فالشيطان ضعيف والمؤمن قوي لكن بطاعة ربه، وغير المؤمن إذا قلت طاعاته فإن الشيطان يستحوذ عليه.

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنِّي لَأَحْسَبُ الشَّيْطَانَ يَفِرُّ مِنْكَ يَا عُمَرُ**» [ابن حبان].

رأى رجل شيطانه كالفرخ المنتوف فلما سأله عن سبب حاله قال دخلت فيك وأنا مثل الجذور وخرجت منك وأنا مثل العصفور، قال بم؟! قال أذبتني بذكر الله.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خَطْمَهُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَإِذَا ذَكَرَ خَنَسَ، وَإِذَا نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ**» [ابن حبان].

تجد طالِبَين يدرسان في نفس الجامعة وحولهما نفس الظروف غير أن الأول لا يدري ما يفعل وحوله كل هذه الفتن فما هو إلا أن يقع فيها، وترى الآخر لا يهمه الأمر مع أنه بشر وله نفس طبائع البشر غير أن ذكر الله شغله عن نفسه.

ترى امرأة كل تفكيرها بملابسها وترى أخرى كل تفكيرها في ما يرضي الله تعالى عنها.

فَأَنْسَاهُمْ: **نسي**: هو التارك عامداً أو جاهلاً.

فتركوا ذكر الله عامدين وناسين.

كنت عند عائلة ملتزمة بالإسلام لهم ابن في أواخر العشرينات من العمر فلما حضرت الصلاة وأردنا أن نصلي سألنا الشاب عن مكان القبلة فإذا به يحتار ويتغير لون وجهه ثم خرج غائباً دقائق ثم عاد وأرشدنا عن مكانها!!

القضية ليست قضية طعام وشراب ولباس فهذا الأمر تحصيل حاصل حتى أن القطط تفعله لكن القضية هل أنت بعيد عن الله أم قريب منه.

هذه الأزمة مع شدتها ووجعها وألمها الشديد فرصة لنعود إلى الله ولنذكر بعضنا بذلك.

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ .

من نجح في دراسته أو عمله لكنه لم يكن مقبلاً على الله فسيكون من الخاسرين.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.